-٥-

فارس نمر

من مواليد حاصبيا فى جبل خرمون بلبنان بلدة الأمير مصطفى الشهابى وأهله. تلقى دراسته فى المدرسة الأمريكية التى سميت فيما بعد الجامعة الامريكية برأس بيروت، وفى هذا المعهد أو الجامعة تلاقى فارس نمر مع يعقوب صروف على أن يصدرا نشرة وكان يعقوب مثله شاباً دؤوباً محباً للعلم بحراً فى المعرفة فاجتمع النابغان يتدبران أمر الثقافة وكيف يمكن تنشيطها والفكر وكيف يمكن إشاعته والأدب كيف يمكن السمو به والالفة بين المفكرين وكيف يجوز تعزيز عراها فاستقر رأيهما على اصدار نشرة صغيرة من ملزمتين اختارلها الدكتور فانديك اسم « المقتطف » وقال لهما اجعلاها جديرة بهذا الاسم.

وأخذ فارس نمر ويعقوب صروف يصدران هذه النشرة سراً ويوزعانها سراً ولا يكتبان عليها تاريخا ولا يضعان لها رقما خشية أن يثور عليهما السلطان المستبد للدولة العلية العثمانية لكن ما حذراه

وقع فسرعان ما افتضح أمر هذه النشرة وخشى السلطان التركى أن يستيقظ الشرق النائم، ويطالب بحريته وخاف أن تتبدد غشاوات الجهل التى ترين على عيون أبناء الشرق فيثب وثبة تحرره من نطاق سلطته فبعث برسله إلى فارس نمر ويعقوب صروف ينذرهما ويحذرهما ويأمرهما بالكف عن اصدار المقتطف ولكن المقتطف كان قد ساير الشمس فى دورانها فدرت بأمره الدوائر العلمية فى كل مكان فى الهندوالملايو والصين شرقاً وفى الولايات المتحدة وكندا وأمريكة اللاتينية غرباً وفى جميع الأقطار الناطقة بالضاد لأنه كان مجلة يقدم للقارئى صفوة الفكر الغربى فى برشام ويطالعه فى مستهل كل شهر بآخر ما تمخضت عنه أدمغة المفكرين فى آفاق الفلسفة والعلم والأدب والدين والزراعة والصناعة والطب والشعر وغيرها.

وظن فارس نمر ويعقوب صروف أن الشرق يضيق بهماوأن منابر الرقعة الخاضعة للنفوذ العثمانى ليست منابر حرة عالية يستطاع منها توجيه الرأى العام فاستقر رأيهما على أن يسافرا إلى الولايات المتحدة مع ركب المهاجرين الماهدين حيث يستقران ويواصلان نشاطهما الأدبى والفكرى وشدا الرحال إلى مصر توطئة لسفرهما إلى أمريكة.

لكن انباءهما كانت قد سبقتهما إلى مصر وعرف رياض باشا وزير المعارف أن العالمين الكبيرين فارس نمر ويعقوب صروف يحزمان الحقائب إلى الدنيا الجديدة فوجه إليهما دعوة للقائه فى مكتبه وكان يحسب أنه سيلقى ببابه شيخين جلل الشيب هامة الرأس عندهما

لكنه وجد شابين فى مقتبل العمر فيهما كثير من الحياء وكثير من التواضع فاستقبلهما بحفاوة بالغة وقال لهما انه انتفع بالقتطف فى تحسين مزارعه واستخدام أنواع ممتازة من السماد فى إخصاب أرضه فأتت بثمر كثير وعرض عليهما أن يقيمافى مصر وكفل لهما حرية تامة فى الاقامة بمصر واصدار المقتطف وفى استئناف نشاطهما العلمى الذى وقفاه فى بيروت واستأنف فارس نمر ويعقوب صروف عملهما وانضم إليهما زميل ثالث هو شاهين مكاريوس وأحدث الثلاثة ثورة فى الفكر فى العالم العربى بمجلة المقتطف التى تضخمت حجماً واكتظت دفوفها بالمواد الدسمة وصارت رسولا يغزو كل ركن من أركان الفكر فى العالمين الشرقى والغربى.

ولما ترامت إلى جامعة نيويورك أنباء هذين الشابين المجاهدين دعتهما لزيارتها لتمنح كلاً منهما درجة الدكتوراه الفخرية فى العلوم اعترافاً بما اسدياه من خدمات للحركة العلمية فى العالم وكانت هذه هى المرة الأولى التى منح فيها شرقى درجة رفيعة كهذه من جامعة عريقة كجامعة نيويورك ومن صلب المقتطف ولد المقطم وهو الابن البكر للدكتور فارس نمر لأن للصديقين صروف و نمر تقاسما العمل فاستقل الدكتور صروف بشئون المباحث العلمية فى المقتطف واستقل الدكتور نمر بشؤون المباحث السياسية فى المقطم وبدأ فارس نمر معركة جديدة فى حياته لأن صراعه مع سلطان تركيا العثمانى بدأ من جديد وصار سافراً غير محجب وصار السلطان لا يخاف شيئا كما يخاف المقطم وكم بعث السلطان

رسلا إلى فارس نمر يغرونه بالمال وبالرتب لكى يكف عن حملته على السلطان فلم يستطع أحد أن يثنى هذا النمر عن ضرواته.

وفى سبيل الحركات القومية ألف الدكتور فارس نمر جمعية سرية تناوئ تركيا ولا تزال حجرات دار المقطم تحتفظ بذكريات أعلام العرب والشرقيين الذين كان يجمعهم فارس نمر حوله يدبرون تدبيرهم ويضعون خططهم ومن سخرية الاقدار أن الحكم بالإعدام صدر على فارس نمر ثلاث مرات فى حياته ولكن فارس نمر رأى مصارع جلاديه واحداً واحدا وبقى هو يغالب أيام الدهر حتى وافته منيته.

وصار فارس نمر قوة مرهوبة لانه رجل صادق يحمل قلماً شريفا يدعو لمبادئ سامية وأصبح صديقاً حميما للمرحوم الخديوى عباس حلمي الذي أرسله إلى السر إدوارد جراي وزير خارجية بريطانيا ليكلمه فى أمر تنازل الخديوي عن عرش مصر على أن يسند إليه عرش دولة شرقيةأخرى كسورية لكن هذا المسعى أخفق قبل أن يبدأ لأن رصاصاً أطلق على الخديوى، فى تركيا وقبل أن يبرأ تماما كان قد عزل عن عرشه فعلا وكان فارس نمر صديقاً للخديوى توفيق وللسلطان حسين وللملك فؤاد وللأمير محمد على الذي كان ولياً لعهد مصر حتى ولد للفاروق نجله الأميرأحمد فؤاد وكان مستشاراً غير رسمى ووسيطاً غير رسمى لأنه كان رجلاً معروفاً باستقامته وإخلاصه كما كان محبوباً من الجميع موثوقاً به من الجميع.

وقد عرضت على فارس نمر رتبة الباشوية غير مرة لكنه كان يعتذر عن عدم قبولها مؤثراً أن يبقى« محرر جرائد » بعيداً عن زيف الرتب والألقاب. اختير فارس نمر عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فكان برغم تقدمه فى السن أوفر أعضاء المجمع نشاطا وكان يرأس بعض جلساته باعتباره رئيس السن كما اختير عضواً فى المجلس المصرى للثقافة العلمية منذ إنشائه ثم عين رئيساً له وكان كذلك عضواً فى مجلس الشيوخ المصرى فى فترة من الفترات ومما يجهله أبناء هذا الجيل أن فارس نمر هو الذي ذلل العقبات التى كانت تعترض سبيل تولى سعد زغلول باشا رئاسة الوزراة الأولى فلم يكن من المألوف أن يتولى واحد من الفلاحين المصريين منصب الوزير لأن المناصب كانت حكراً على الأتراك لكن سعد زغلول خرج على هذا العرف بفضل فارس نمر ومما لم يسجله التاريخ أنه عقب وفاة المغفور له السلطان حسين كامل فى عام ١٩١٧ اتجهت النية عند البريطانيين الذين كانوا آمرين ناهين فى مصير مصر إلى استقدام أمير هندى ليتولى حكم مصر وذكر فعلاً اسم الآغاخان لكن فارس نمر ثار.

قال وديع فلسطين:ـ

«وعرفت فى فارس نمر صلابة فى الرأى إذا استيقن أن الحق فى جانبه فقد كان عنيداً صلب الرأى لاينثنى عن أمر إذا ارتآه صوابا إذا قال فعل وإذا وعد أنجز وقد وقف وحده يناوئ السلطان فلم يقو السلطان على كسر شوكته وحاول الوسطاء فأبى وقال انه لايضع يده فى يد هذا المستبد».

«وعرفت فى فارس نمر احتقاراً للحياة وعرفت منه أن من ازدرى الحياة تشبثت به وأن من سخرمن الجاه أتاه يسعى وقد كان فارس نمر بسيطاً فى ملبسه وفى مأكله وفى حياته اليومية وكان لايبالى أأقبلت عليه الدنيا أو أدبرت وكان ينكر ثراءة لا عن جحود نعمة الله بل عن أنفة من أن يقيس الناس قدره بثرائه».

«وعرفت فى فارس نمر قدرة على التوفيق بين الدين والدنيا فقد تفقه فى العلم ودرس النظريات ماكتبه منها داروين واينشتين وغيرهما من العلماء الذين تحدوا الدين ولكنه كان أصيلاً فى إيمانه يتحدث عن الحياة الأخرى ويؤمن بها ويعتصم بحبل الله ولا يتخلى عنه».

«عرفت كل هذا وأكثر منه فى فارس نمر الذى كان لى أباً وصديقا وأستاذاً».

«ومما يحز فى نفسى أننى كنت آخر من تحدث مع الدكتور فارس نمر قبل أن تأخذه غيبوبة الموت فقد دعانى لرؤيته ومكثت معه زهاء نصف ساعة جرى الحديث بيننا سريعاً خاطفاً فقد كانت كلماته ونصائحه هى آخر ما فاه به ولما هممت بالانصراف شد على يدي وأجحش بالبكاء وقال إننى ماض ولن أراك ثانية فقلت له بل سأزورك وأجدك على خير ما يرام لكنه كان يقدم رجلاً إلى لحده ويجر الثانية إليه متثاقلة وبعد غيبوبة احتوته يومين طلق الدنيا فى غياسى وإذا كان فارس نمر قد ذهب فإن المشعل الذى رفعه لا

يزال مرفوعا، وقد كنا نود أن نرى فارس نمر يتقدم الصفوف ليشهد حفلاً يقام بمناسبة اليوبيل الماسى لمجلة المقتطف التى سلخت من العمرخمسة وسبعين عاماً كاملة لكن المنية كانت معه على موعد فحرمته لذة ساعة يتوج فيها جهده الأدبى وجهاده العلمى بمشهد من ملأغفير.

على أن فارس نمـر كان يتهم عملاء الانكليز فى جريدة « المقطم ».

* * *

obeikandl.com